أهمية القدس عند المسلمين

أ.عبد الحكيم عبد الحميد جربوع

بسم الله الرحمن الرحيم
(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)
(سورة الإسراء:الآية: 1)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين له ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد ،

فإن الحديث عن القدس حديث عظيم، والمرء عندما يتحدث عن أمر عظيم، فإن الخوف يتملكه خشية ألا يوفي هذا الأمر حقه، فيظلمه بحديثه أو بكتابته من حيث لا يشعر بسبب تقصيره في تعظيمه وإنزاله منزلته التي يستحقها.

القدس : بضم الدال وسكونها، اسم ومصدر[1] هو الطهر[2] والبركة[3] والقدس تنزيه الله تعالى[4] ، قال صاحب المصباح المنير: " هو الطهر، والأرض المقدسة: المطهرة وبيت القدس منها معروف[5] وتسمى الجنة حظيرالقدس أي الطهر[6]، وروح القدس جبريل عليه السلام، وفي الحديث إن روح القدس قد نفث في روعي يعني جبريل عليه السلام لأنه خلق من طهارة [7] وقال الخليل بن احمد الفراهيدي" القدس : تنزيه الله وهو القدوس والمقدس والمتقدس [8] والتقدسي : التطهير [9] والتبريك [10] وتنزيه الله عز وجل [11]، وتقدس تطهر[12] والأرض المقدسة: المطهرة[13] وبيت المقدس: البيت المطهر، أي المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب [14] والقدوس : بالضم والتشديد من أسماء الله الحسنى[15] وهو الطاهر المنزه عن العيوب والنقائض[16] والقدس : بالتحريك السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يتطهر فيه[17].

يتبين لنا من استعراض بعض معاني لفظ القدس ومشتقاته أن هذا اللفظ يدل على الطهارة والبركة، وأن هذه الأرض الطاهرة مباركة باركها الله سبحانه وتعالى وهكذا أرادها منذ أن خلقها إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

أهمية القدس عند الديانات السماوية:-

تعد مدينة القدس من أقدس مدن العالم على مر العصور، وهي المدينة الوحيدة التي تتعلق بها أفئدة أتباع الديانات السماوية الثلاث، فلها مكانة عظيمة في قلب كل منتسب لهذه الديانات،لأن الله سبحانه وتعالى أراد لها هذه المنزلة الكبيرة.

وقد تشرفت هذه المدينة بالإضافة إلى الشرف الذي وهبه الله لها بحياة عدد من الأنبياء والرسل على أرضها، واختيارها لتبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى، وهي وكل أرض فلسطين أرض مباركة، فهي تحتوي على أجساد العديد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكفى به شرفاً ومكانة.

ومما زادها شرفاً اختيارها لتكون المكان الذي عرج منه النبي محمد ﷺ إلى السماء بعد أن أسري به إليها من مكة المكرمة، فشرفها ﷺ بأن وطئ ترابها وصلى في مسجدها الأقصى.

ونظراً لما تتمتع به القدس من قدسية لدى أبناء الديانات السماوية الثلاث، فقد حاول أتباع كل ديانة فرض سيطرتهم عليها من الزمن، وإخضاعها لحكمهم حتى تنسب إليهم وينسبوا إليها فينالهم شرف هذه النسبة.

فاليهود يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى قد جعلهم شعبه المختار، وخصهم بهذا الأمر دون خلقه جميعا، وجعل الأرض المقدسة لهم إلى يوم القيامة، وذلك في الوعد الذي قطعه على نفسه لإبراهيم ويعقوب وموسى عليهم السلام بأنه سيعطي هذه الأرض لهم ولذريتهم من بعدهم .

وجاء حب المسيحيين للقدس بسبب ارتباط المسيح عليه الصلاة والسلام به فتقديسهم لشخصية المسيح عليه الصلاة والسلام – لدرجة أنهم اتخذوه إلهاً – فأنهم قدسوا كل ما لديه علاقة به.

أما المسلمون فعلاقتهم بالقدس مميزة، وهي العلاقة التي بنيت على أساس سليم، فالله سبحانه وتعالى عندما كرم هذه البقعة من الأرض وجعلها مقدسة، إنما أرادها لعباده المؤمنين كما أراد مكة المكرمة والمدينة المنورة.

أهمية القدس عند المسلمين:-

نعلم أن " الإسلام هو رسالة الأنبياء والمرسلين جميعاً من لدن أبينا آدم عليه السلام وحتى نبينا محمد ﷺ فكل " نبي من السابقين مسلم جاء بالإسلام ورسالته هي الإسلام وأتباعه الذين امنوا به هم المسلمون" [18] .

يقول الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ) [19] ويقول تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [20].

وهذا الكلام ينطبق على بني إسرائي،فهم عندما آمنوا برسلهم، وصدقوهم صاروا مسلمين مؤمنين بالله تعالى حقاً، وبالتالي استحقوا الأرض المقدسة،لأن الله تعالى كتب هذه الأرض لعباده المؤمنين الصالحين مهما كانت أجناسهم فلم يكتبها لجنس معين، ومن هنا ولاستحقاق بني إسرائيل الأرض المقدسة، جاء قوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام مخاطباً بني إسرائيل : ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة

التي كتب الله لكم [21]، ولقد أمرهم الله تعالى أن يدخلوا القدس ويقيموا فيها حكم الله، وقد حاربوا الكفار الذين كانوا فيها وانتصروا عليهم، ودخلوها بإذن الله، وقد حابوا أقم فيها النبيان داود وسليمان عليهما السلام حكم الله مدة من الزمن فكانت دولة إسلامية محصنة." لقد كتب الله الأرض المقدسة فلسطين لذلك الجيل المؤمن من بني إسرائيل لإيمانهم وفضلهم على الكافرين الذين كانوا في زمانهم ومنهم من دخولها"[22].

ولكن بني إسرائيل لم يكونوا أهلاً للمحافظة على عهد الله سبحانه وتعالى وعلى الأرض المقدسة التي كرمهم الله بحكمها، فنقضوا المواثيق والعهود من طبعهم قال تعالى عنهم : (أَو َكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) [23] وقال عز وجل : (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) [24]، فهذه هي صفتهم التي يشتهرون بها والتي ركز عليها القرآن الكريم، وقد غيروا وبدلوا في دين الله تعالى فاستحقوا غضب الله عليهم، ولما كان الله تعالى قد كتب الأرض المقدسة للصالحين من عباده، فقد نزعها من أيديهم" وكتب عليهم الشتات والضياع في بقاع الأرض[25]، بعد أن سلط الله عز وجل أعداءهم عليهم وأخذوا منهم القدس، وطردوهم منها، ولما جاء سيدنا محمد ﷺ بالإسلام انتقل ميراث القدس إلى الأمة الإسلامية، وهذه هي سنه الله تعالى: (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) [26]، فالمسلمون باتباعهم للرسول ﷺ وإقامتهم لحكم الـه استحقوا هذه الأرض فمكنهم الله عز وجل منها ولأن الإسلام هو خاتم الأديان الذي جاء به خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ ،فإن القدس ستبقى ميراثاً للأمة الإسلامية حتى قيام الساعة شاء ذلك أعداء الإسلام من اليهود ومن شايعهم أم أبوه.

وحتى لو مر على الأمة الإسلامية أحوال من الضعف والهوان فقدوا خلالها القدس، فهذا لا يغير حقيقة أن القدس للمسلمين وما ضياعها من أيدي المسلمين خلال أحوال الضعف هـذه إلا تأكيـد على سنة الله تعالى في أن القدس لا يستحقها إلا المسلمون حقا المتبعون للنبي ﷺ، وضياعها عقاب للمسلمين وابتلاء لهم وتمحيص لإيمانهم، وهو تذكير من الله تعالى لهم بأن عليهم العودة إلى دينهم من جديد حتى يستعيدوا القدس، فرجوعها مؤقت برجوعهم إلى الله تعالى.

وللتأكيد على الأهمية الدينية للقدس عند المسلمين، وللفت انتباه المسلمين إلى هذه البقعة المباركة التي لم يكونوا على علم بقيمتها الدينية عند الله في بداية الإسلام ولجعل قلوب المسلمين وأنظارهم تتجه إليها، كانت حادثة الإسراء والمعراج، فهذه الحادثة العظيمة هي التي ربطت أفئدة المسلمين بهذه الأرض، فكانت نقطة البداية في علاقة الحب الشريفة الطويلة بين المسلمين والقدس قال الله سبحانه وتعالى:(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [27] .

وليس الهدف هنا الحديث عن تفاصيل حادثة الإسراء والمعراج، متى حدثت ومن أين بدأت بالضبط؟ وهل هي الروح فقط أم بالروح والجسد؟ وماذا حصل في السماء؟ وكذلك تكذيب قريش وردة بعض المسلمين، وتصديق أبي بكر الصديق

رضي الله عنه، وما إلى ذلك من الأمور، لا تعنينا هنا في هذا البحث، ولكن الهدف هو الوقوف على بعض الدلالات المستخلصة من هذه الحادثة التي لها علاقة بقدسية هذه الأرض الشريفة التي تظهر علاقة الإسراء والمعراج بهذه القدسية.

هناك حقائق وعبر كثيرة يستطيع المتأمل أن يستخلصها من هذه الحادثة العظيمة التي كان من أهم أهدافها إظهار مكانة القدس عند الله سبحانه وتعالى.

كان من الممكن أن تكون الرحلة إلى السماء مباشرة من مكة أو من أي مكان آخر ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يربط المسجد الحرام في مكة المكرمة وبين السجد الأقصى في القدس في المكانة والقدسية كما أراد سبحانه وتعالى أن يربط القدس والسماء، فلم يصعد عليه الصلاة والسلام إلى السماء إلا من القدس وكأن القدس هي الباب الوحيد الموصل إلى السماء، ولذلك جعلها اله تعالى أرض المحشر والمنشر يوم القيامة، وسيأتي بين ذلك ، فيالها من مكانة عظيمة تلك التي تتمتع بها القدس.

ولننظر إلى الأستاذ سيد قطب ماذا يقول عن هذه الحادثة العظيمة:" والرحلة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين ﷺ وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً، وكأنما بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات، وارتباط رسالته بها جميعاً(28).

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الإسراء علامة على أن الإسلام قد جمع كل ما جاءت به الشرائع السماوية السابقة منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وابتداء من بيت الله الحرام مرورا بالشرائع التي كان مقرها بيت المقدس، وانتهاء ببيت الله الحرام في مكة أيضاً برسالة محمد ﷺ، فظهرت الحنفية في المسجد الحرام ثم انتقلت إلى بيت المقدس وأخيراً عادت إلى المسجد الحرام، وهكذا كانت رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى المسجد الحرام في النهاية (29).

يقول الدكتور عبد العزيز الخياط:" ثم كان الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج منها إلى السماوات العلى، والتي سجل الله تبارك فيها ارتباط العقيدة الإسلامية بالقدس وخصها بالإسراء إليها والمعراج منها لقدسيتها وبيانا مكررا لبركتها" (30).

ولنتأمل في هذا التحليل الذي توصل إليه الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – حيث يقول :" وإنه – أي الله عز وجل – أكمل له – أي الرسول ﷺ - الفضائل فلم يفته فائت، فمن أجل ذلك أحله بالمكان المقدس الذي تداولته الرسل من قبل فلم يستأثرهم بالحلول بذلك المكان الذي هو مهبط الشريعة الموسمية، ورمز أطوار تاريخ بني إسرائيل وأسلافهم والذي هو نظير المسجد الحارم في أن أصل تأسيسه في عهد إبراهيم ... فأحل الله به محمدا عليه الصلاة والسلام بعد أن هجر وخرب إيماء إلى أن أمته تجدد مجده"(31).

وهكذا يظهر لنا جليا سبب ارتباط القدس بالعقيدة الإسلامية، وسبب تعلق قلوب المسلمين بالقدس، واهتمامهم البالغ بها، واستعدادهم للتضحية بالنفس والمال من أجل إعادتها إلى موقعها الصحيح تحت الحكم العربي الإسلامي.

ولمعرفة حقيقة البركة التي اتصفت بها القدس التي وردت في قوله تعالى:" (الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) " لابد لنا من الرجوع إلى كتب التفسير لنقرأ ما كتبه المفسرون حول هذا الموضوع فبعد الاطلاع على العديد من هذه التفاسير تبين أن هناك نوعين من البركة التي منحها الله للقدس: بركة مادية وبركة معنوية روحية، فالمادية تتمثل في الأنهار والأشجار والثمار والزروع بأنواعها فهي أرض الخيرات والأرزاق والبركات، وأما البركة المعنوية فلكون القدس مقرا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومتعبدا لهم، ومهبطاً للوحي، وموطناً للعبادات[32]

وهنا لطيفة أحب أن أشير إليها، وهي أن الله سبحانه وتعالى قال: (بَارَكْنَا حَوْلَهُ)ولم يقل باركناه أو باركنا فيه مع أن الحديث عن المسجد الأقصى، لأن (باركنا حوله) أبلغ من أي لفظة سواها يقول الطاهر بن عاشور :" وحول يدل على مكان قريب من مكان اسم ما أضيف (حول) إليه، وكون البر[33]كة حوله كناية عن حصول البركة فيه بالأولى لأنها إذا حصلت حوله فقد تجاوزت ما فيه، ففيه لطيفة التلازم ولطيفة فحوى الخطاب، ولطيفة المبالغة بالتكثير".

أما الإمام البقاعي فقد فسر كلمة (حوله) تفسيراً آخر فقال:" (حوله) أي لأجله فما ضنك به نفسه فهو أبلغ من باركنا فيه" [34] ويقول سيد قطب:" ووصف المسجد الأقصى بأنه " الذي باركنا حوله" وصف يرسم البركة حافة بالمسجد فائضة عليه وهو ظل لم يكن ليلقيه تعبير مباشر مثل باركناه أو باركنا فيه، وذلك من دقائق التعبير القرآني العجيب"[35].

ووجه تسمية المسجد بالأقصى لبعده عن المسجد الحرام بمكة المكرمة وطول المسافة التي بينهما، فالأقصى أي الأبعد فهو " أقصى وأبعد بالنظر إلى من بالحجاز"[36] وقيل سمي الأقصى أي الأبعد لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد فهو أبعد المساجد من مكة وكان بينهما مسيرة أكثر من شهر[37].

وأما الطاهر بن عاشور فيقول في هذا :" والأقصى أي الأبعد والمراد بعده عن مكة بقرينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وهو وصف كاشف اقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة هذا الإسراء، وكونه خارقاً للعادة، لكونه قطع مسافة طويلة في بعض ليلة" [38] وقال شمس الدين السيوطي:" وسمي بالأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ويبتغي بها الأجر من المسجد الحرام، وقيل لأنه ليس وراءه موضع عبادة، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث" [39] .

<u>أول من بنى المسجد الأقصى:-</u>

لا يعرف على وجه التحديد أول من بنى المسجد الأقصى لعدم ورود أدلة صريحة تنص على ذلك، وجميع الآراء في هذا الموضوع إنما هي تخمينات مبنية

على فهم أصحابه لحديث صحيح عن رسول الله ﷺ رواه عنه أبو ذر رضي الله عنه حيث قال :" قلت : يارسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا؟

قال :" المسجد الحـرام " قلت :" ثم أي ؟ قال :" المسجد الأقصى " قلت : كم بينهما ؟ قال :" أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل فإنه مسجد "[40].

هذا الحديث كما نرى لا يوضح من الذي بنى المسجد الأقصى ولا وقت بنائه ولا في زمـن مـن الأنبيـاء ، مع أنه هو الحديث الذي اعتمد عليه بحث في هذا الموضوع وحدد – من وجهة نظره – من الذي بنى المسجد الأقصى.

ولكون هذا الحديث غير صريح، فمن بنى المسجد فقد حصل اللبس في فهمه فذهب قوم إلى أن من بناه هو سيدنا إبراهيم عليه السلام، وذهب آخرون إلى أنه سيدنا آدم عليه السلام وذهب قسم ثالث إلى أنه سام بن نوح عليه السلام وجميع هذه الآراء قد تكون صحيحة لان الأمر كما علمنا ليس واضحا والجزم بصحة أحدها أمر صعب، فالذين ذهبوا إلى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى المسجد الأقصى اعتمدوا على الحديث السابق فقالوا إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي بنى المسجد الحرام وبما أن الرسول ﷺ قد حدد الفترة لبناء المسجدين بأربعين سنة فإن ذلك يعني أن بناء المسجد الأقصى قد تم في عهد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيكون هو الذي بناه ويزيد البعض في التفاصيل فيقولون إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما أخذ زوجه هاجر إلى مكة جاءت له بابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام وبعد أن كبر سيدنا إسماعيل عليه السلام أمر الله سيدنا إبراهيم عليه السلام ببناء المسجد الحرام فبناه مع ابنه إسماعيل عليه السلام ثم عاد بعد ذلك إلى بيت المقدس فبنى المسجد الأقصى بعد أربعين سنة من بناء المسجد الحرام [41] .

أما الذين ذهبوا إلى أن أول من بنى المسجد الأقصى هو آدم عليه السلام فكان اعتمادهم أيضاً على الحديث السابق، فقالوا إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن أول من بنى المسجد الحرام وإنما بناه على أساس قديم، وقد فهموا ذلك من قوله تعالى:(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [42] والأساس القديم هذا هو من بناء سيدنا آدم عليه السلام فهو أول من بنى المسجد الحرام ثم بنى المسجد الأقصى بعده بأربعين سنة.

وذهب فريق آخر إلى أن الذي بنى المسجد الأقصى لأول مرة هو سام ابن نوح وهؤلاء ليس لهم ما يستندون عليه في هذا الرأي، فسام بن نوح لم يبن المسجد الحرام حتى يقال إنه بنى المسجد الأقصى بعده بأربعين سنة، وإن كانوا يقصدون أن سام بن نوح كان بين آدم ونوح عليهما السلام أكثر من ألف سنة، والحديث يبين أن الفترة بين بناء المسجدين أربعون سنة فقط فيبطل هذا القول إذن [43]أما إن كانوا يقصدون أنه بناه بعد فترة طويلة من بناء آدم عليه الصلاة والسلام للمسجد الحرام فلا يكون هو أول من بناه، وإنما بناه على أساس قديم كما فعل سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام فقد بنى المسجد الأقصى على أساس قديم ولم يكن أول من بناه لذلك فإنه من باب أولى أن لا يكون الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أول من بنى المسجد – كما يعتقد البعض – ولكن بناءه له كان البناء الأخير الذي مات قبل أن يتمه فأتمه ابنه

الخليفة الوليد ثم بنى أيضا مسجد قبة الصخرة وكان في حوالي سنة (27) وهذان البناءان بقيا إلى يومنا هذا ولا يزالان قائمين[44] إذان ليس سام بن نوح هو أول من بناه.

وقيل إن أول من بنى المسجد هو يعقوب عليه السلام [45] وهناك رأي يقول إن الملائكة هي التي بنته بعد بنائها للمسجد الحرام[46]

ومن أراد زيادة وتفصلا في موضوع بناء المسجد الأقصى فعليه مراجعة كتاب الأستاذ محمد محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، دراسة تاريخية موثقة ففيه من التفصيل ما يشبع رغبة القارئ فيما يتعلق بهذا الموضوع.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن المسجد الأقصى الوارد ذكره في سورة الإسراء ليس هو المسجد الأقصى ببناءه الحالي، فهذا البناء لم يكن قائماً عند نزول آية الإسراء يقول الشيخ عبد الحميد السائح:" حينما نزلت آية الإسراء " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ...الخ" كان المكان الموجود الآن بين أسوار الحرم الشريف بالقدس مخصصا لعباده الله سبحانه، وهو المكان الذي وقع الإسراء إليه ليلا لسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وحصل معراجه منه إلى السموات العلى إلى حيث علم الله ... وحينئذ لم يكن في ذلك المكان بناء معروف بالمسجد الأقصى ولا بناء آخر معروف بمسجد الصخرة المشرفة، ولا سائر الأبنية المنتشرة في ساحة المسجد الأقصى، وإنما سمي في الآية بالمسجد لأنه مكان العبادة [47] وحقيقة الحال أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور"[48].

فضائل القدس :-

عند الحديث عن القدس وفضائلها ومكانتها عند المسلمين، يكتفي بذكر الأحاديث النبوية التي أظهرت ما لهذه البقعة المباركة من فضل ومنزلة عند الله سبحانه وتعالى.

ولو لا أهميتها الدينية في الإسلام، لما نالت كل هذا الشرف، ولما خصها الرسولﷺ بالكثير من أحاديثه الشريفة كذلك فإن كثيرا من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ولأثار التي تتحدث عن مكانة القدس وأجر العبادة فيه، ما جاءت إلا لسيطرة هذه المدينة المقدسة على أفئدة المؤمنين على مر التاريخ إلى قيام الساعة " وكل غلو جاء في الأحاديث والأخبار عن القدس وكل رواية بولغ في مبناها ومغزاها وسردها حتى التي لا يهضمها المنطق والعقل فهي دليل على قيمة هذه المدينة ومكانتها وفضيلتها إذاً لو لا تلك الأهلية والجدارة والفضيلة التي تتمتع بها القدس لما خصت بكل تلك الأخبار والأحاديث والقصص والأساطير المعقول وغير المعقول منها"[49].

ولذلك سنذكر بعضاً من هذه الأحاديث الشريفة التي تبين أهمية القدس ومكانتها عند المسلمين.

1- شد الرحال إلى المسجد الأقصى:-

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى"[50].

ب- عن أبي سعيد ألخدري قال : رسول الله ﷺ :" لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى"[51].

ت- وعن أبي سعيد ألخدري أن رسول الله ﷺ قال :" إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد ، مسجد إبراهيم ومسجد محمد صلي الله عليه وسلم ، وبيت المقدس"[52].

ث- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :" تضرب أكباد ألمطي إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"[53].

ج- وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" إنما الرحلة إلى ثلاثة مساجد غلي مسجد الحرام ومسجدكم هذا وإيلياء" [54]

2- فضل الصلاة والعمل في القدس وزيارتها:-

أ- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس ؟ فقال رسول الله ﷺ :" صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه"

ب- وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ أنها قالت : يا رسول الله أفتينا في بيت المقدس فقال:" أرض المحشر والمنشر، إتوه فصلوا فيه صلاة فإن صلاة فيه كألف صلاة " قالت : أرأيت إن لم نطق أن نتحمل إليه أو أن نأتيه، قال:" فاهدين له زيتا يسرح فيه فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه " [56].

ت- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قالت رسول الله ﷺ صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى"[57] .

ث- وعن أم عائشة رضي الله عنها أزوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول :" من أهل بحجة أو بعمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر أو وجبت له الجنة"[58].

ج- وعنها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :" من أهل بعمرة من بيت المقدس غفر له"[59].

ح- وعنها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ :" من أهل بعمرة من بيت المقدس كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب " قالت فخرجت أي من بيت المقدس بعمرة"[60].

خ- وعنها رضي الله عنها قالت " قال رسول الله ﷺ :" من أحرم من بيت المقدس بحج أو بعمرة كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه"[61].

د- وعن أم سلمة رضي الله عنها" أن رسول الله ﷺ قال:" من أحرم من بيت المقدس غفر له ما تقدم من ذنوبه"[62] .

ذ- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ :" أن سليمان بن داود لما بنى مسجد بيت المقدس سأل خلالا ثلاثاً سأل الله حكماً، فأوتيه، وسأل الله مكلاً حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه"[63].

3- القدس هي أرض المحشر والمنشر:-

أ- عن ميمونة مولاة النبي ﷺ أنها قالت : يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، فقال :" أرض المحشر والمنشر إيتوه فصلوا فيه صلاة فيه كألف صلاة" قالت : أرأيت إن لم نطق أن نتحمل إليه أو أن نأتيه قال :" فاهدين إليه زيتاً يسرج فيه فإن من أهدى له كأن كمن صلى فيه[64].

ب- عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ كان يقول :" إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجتمعون يوم القيامة "[65].

4- القدس هي قبلة المسلمين الأولى:-

أ- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : إن النبي ﷺ كان أول ما تقدم إلى المدينة نزل على أجداده- أو قال أخواله – من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله قبل مكة فداروا- كما هم – قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك[66].

ب- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : صلينا مع النبي ﷺ نو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر ثم صرفه نحو القبلة[67].

ت- وعنه رضي الله عنه قال: مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهراً حتى نزلت القبلة إلى الكعبة بعد دخوله إلى المدينة بشهرين...[68].

ث- وعنه رضي الله عنه قال : صليت مع النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التي في البقرة "(وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) فنزلت بعدها صلى النبي ﷺ فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون فحدثهم فولو وجوههم قبل البيت[69].

ج- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو البيت المقدس فنزلت " قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام"فمر رجل من بني سلمة وهم راكعون في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادي ألا إن القبلة قد حولت ، فمالوا كما هم نحو القبلة [70].

ح- وعن عبد الله بن عامر رضي الله عنهما قال : بينما الناس بقباء في صلاة الصبح جاءهم آت فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة وأمر يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة[71] .

5- القدس وما حولها مقر للفرقة الناجية:-

أ- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :" لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من يغزوهم قاهرين لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك" قيل يا رسول الله وأين هم ؟[72].

ب- وعنه رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ قال :" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك " قيل يا رسول أين هم ؟ قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"[73] .

ت- وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأوائهم كالإباء بين الأكلة حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك" قالوا : يارسول الله وأين هم ؟ قال : بيت المقدس وأفناء بيت المقدس[74].

ث- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :" لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة"[75].

6- القدس محرمة على المسيح الدجال :-

أ- عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال : ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا : حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجال ولا تحدثنا عن غيره وإن كان مصدقاً قال: خطبنا النبي ﷺ فقال :" أنذرتكم الدجال ثلاثاً – فإنه لم يكن نبي قبلي إلا قد أنذره أمته ، وإنه فيكم أيتها الأمة وإنه جعد آدم ممسوح العين اليسرى، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار ومعه جبل من خبز ونهر من ماء، وإنه يمطر المطر ولا ينبت الشجر، وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ فيها كل منهل ولا يقرب أربعة مساجد، مسجد الحرام، ومسجد المدينة ومسجد الطور ومسجد الأقصى، وما يشبه عليكم فإن ربكم ليس بأعور"[76].

ب- وعن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ -ذكر الدجال – فقال :" وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس قال فيهزمه الله وجنوده حتى إن جذم- أصل- الحائط وأصل الشجرة ينادي : يا مؤمن هذا كافر يستتر بي، تعال فأقتله"[77]

ت- وعن أبي الزاهية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من الدجال بيت المقدس، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج بيت الطور "[78]

وبعد ، فهذه هي القدس، وهذه هي مكانتها في الإسلام، هذه هي أرضنا، وهذه هي صفتها التي جعلها الله لها، فهل يلومنا أحد من محبتنا وعشقنا لها، وهل نخطئ إذا ربطناها بعقيدتنا؟ وهل يمكن أن نفرط بشبر مبارك مقدس منها ؟ هل نستكثر عليها جهادنا لأعدائها واستشهادنا على ثراها المبارك الطهور؟؟[79]

المراجع المعتمدة

[1] ابن منظور، لسان العرب ، دار المعارف، الجزء5،ص355.
[2] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت، الجزء 16،ص 354 .
[3] ابن منظور ، لسان العرب ، الجزء 5،ص 355 .
[4] الزبيدي، تاج العروس الجزء16،ص 354
[5] أحمد بن محمد الفيمي ت (770 هـ)،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،الطبعة الثانية، الطبعة الأميرية، مصر،1909 م، ص 757 .
[6] أحمد بن فارس بن زكريا(395 هـ) معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية،بيروت،الجزء5 ،ص 63.
[7] ابن منظور ، لسان العرب، الجزء5،ص 355 .
[8] الخليل بن أحمد الفراهيدي(175 هـ) العين، تحقيق د.مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الحرية، بغداد، الجزء5 ص 73.
[9] محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي(666 هـ) مختار لصحاح، دار الرسالة،الكويت،1982 م ص524،والزبيدي تاج العروس الجزء16،ص 358.
[10] الزبيدي، تاج العروس الجزء 16،ص 359 .
[11] ابن منظور ، لسان العرب،الجزء 5،ص 3549 .
[12] الرازي، مختار الصحاح،ص 524.
[13] أحمد ابن فارس بن زكريا(395 هـ) مجمل اللغة، تحقيق : الشيخ هادي حسن حمودي، الطبعة الأولى، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية ، الكويت، 1405 هـ /1985 م، الجزء 4،ص 148.
[14] ابن منظور ، لسان العرب،الجزء 5،ص 355 .
[15] الزبيدي، تاج العروس،الجزء16،ص 357 .
[16] ابن منظور ،لسان العرب،الجزء5،ص 3549 .
[17] ابن منظور ، لسان العرب،الجزء 5،ص 355 .
[18] صلاح الخالدي ،حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية،ص 58 .
[19] سورة آل عمران:19.
[20] سورة آل عمران:85.
[21] سورة المائدة:21.
[22] صلاح الخالدي ،حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية،ص30.
[23] سورة البقرة:100.
[24] سورة الرعد:25.
[25] صلاح الخادلي ،حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية،ص35.
[26] سورة الأحزاب:62.
[27] سورة الإسراء:1.
[28]) سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة التاسعة،دار الشروق،1400هـ / 1980 م ، مجلد 4، الجزء15،ص 2212.
[29] ينظر محمد الطاهر بن عاشور،تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،إدارة الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،الجزء15،ص15.
[30] عبد العزيز الخياط،مكانة القدس في العقيدة الإسلامية،الندوة السنوية لشئون القدس 1417 هـ /1996 م،عمان،المملكة الأردنية الهاشمية،ص 10.
[31] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزء 15،ص 7، 8.
[32] ينظر الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت 710 هـ)، تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل،دار الكتاب العربي،بيروت- لبنان،المجلد الثاني، ص 236، والإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت 885 هـ/148 م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الطبعة الولى،

مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، 1397 هـ/ 1977 م، الجزء11، ص 290،والإمام علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار المعرفة، بيرت- لبنان ، المجلد الثالث،ص 145،والإمام الشيخ إسماعيل حقي البروسوي(ت 1137 هـ) ، تفسير روح البيان، دار الفكر، الجزء 15 ، ص 105، واحمد مصطفى المراغي، الطبعة الثالثة، 1394 هـ/ 1972 م، الجزء 15،ص 4.

[33] محمد الطاهر بن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،الجزء 15،ص 7 ، 8 .

[34] برهان الدين البقاعي،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الجزء11 ، ص 290.

[35] سيد قطب، فيظلال القرآن،الجزء15، ص 2212 .

[36] أحمد مصطفى المراغي، تفسير،مجلد 5، الجزء 15،ص 4.

[37] ينظر إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان،الجزء5 ،ص 104،والخازن/ تفسير الخازن،مجلد3،ص 145.

[38] ابن عاشور،التحرير والتنوير،الجزء14،15.

[39] السيوطي،إتحاف الإخصا، القسم الأول،93 .

[40] رواه البخاري1213/3،ومسلم370/1، وأحمد 166/5.

[41] ينظر ابن الفركاح،(وهو الشيخ الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين،بقية الصالحين، برهان الدنيا والدين،إبراهيم بن الشيخ تاج الدنيا والدين بن عبد الرحمن بن سباع القراري البدري الأنصار المعروف بابنالفركاح)، كتاب باعث النفوس إلى زيادة القدس المحروس، عني بنشره تشارلسمثيوز، مطبعة دار الأيتام السورية، القدس، ص 2 ، 3 ، وعبد العزيز مصطفى قبل أن يهدم الأقصى، الطبعة الثانية، الوطن للنشر، الرياض،1410 هـ، ص 30 ، 31 .

[42] سورة البقرة:127.

[43] ينظر ابن الكرفاح باعث النفوس،ص 3،وابن تميم المقدسي،مثير الغرام،ص133،131.

[44] ينظر فائز فهد جابر،القدس،ص43،ومحمد عثمان شبير،بيت المقدس وما حوله ،ص90.

[45] ابن تميم المقدسي ،مثير الغرام ،ص134

[46] ينظر محمد عثمان شبير ،بيت المقدس وماحوله،ص37.

[47] عبد الحميد السائح،مكانة القدس في الإسلام ،منشورات لجنة إنقاذ القدس ،2محرم 1388ه،نيسان1968م،ص31.

[48] مجير الدين الحنبلي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ،منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف،1388ه/1968م،الجزء الثاني،ص24.

[49] جعفر الخليلي،موسوعة العتبات المقدسة،ص65.

[50] البخاري 398/1برقم 1132:أبو داود:216/2 برقم 2033،النسائي في المجتبي:37/2 برقم700

[51] مسلم : 975/2 برقم 827.

[52] أحمد 45/3 برقم 11427 ، البهيقي 452/2 برقم 4177.

[53] كسند أبي يعلي، 430/11 برقم 6558 .

[54] ابن حبان: 509/4 برقم 16131

[56] سنن أبي داود 125/1 برقم 457، سنن ابن ماجة 451/1 برقم 1407، مسند أحمد 463/6 برقم 27667، سنن البهيقي الكبرى 441/2 برقم 4114 ، مسند أبي يعلي 523/12، العجم الكبير للطبراني32/25 برقم 55254 مسند الشاميين 271/1 برقم 344،179،471، الآحاد والمثاني 216/6 برقم 3448 .

[57] مسند أحمد 278/2 برقم 7725 .

[58] أبو داود 143/2 .

[59] ابن ماجة 999/2، مصنف ابن ابي شيبة 125/3، ابن حيان14/9،مسند أبي يعلي328/12.

[60] ابن ماجة 999/2.

[61] سنن الدار قطني284/2،283.

[62] مسند أحمد 299/6.

[63] النسائي، في السنن الكبرى256/1، وفي المجتبي 34/2،وتبن ماجة452/1 وابن خزيمة 288/2.

(64) سبق تخريجه.
(65) المعجم الكبير للطبراني 264/7برقم 7076.
(66) البخاري23/1 ابن الجعد ص 374 برقم 2570.
(67) البخاري1634/4.
(68) ابن ماجة 322/1 برقم 1010.
(69) ابن أبي شيبة 374/1 برقم 525، الترمذي169/2 برقم 340، النسائي في السنن الكبرى 304/1 برقم 945/ن وفي المجتبي 60/2برقم،702 وابن جباتن 617/4 برقم 1716، البهقي 2/2 برقم 222، ابن ابي شيبة 294/1.
(70) مسلم 375/1 برقم527، احمد 286/3 برقم 14066.
(71) البخاري 157/1، ومسلم 375/1 .
(72) المعجم الكبير للطبراني 145/8 برقم 7643، ومسند الشاميين 27/2 برقم 860.
(73) أحمد 269/5.
(74) أمالي المحاملي، ص 424 .
(75) مجمع الزوائد 288/7 .
(76) أحمد 435/5.
(77) الحاكم في المتدرك 479/1، البهقي 339/3،مجمع الزوائد210/2،مصنف ابن ابي شيبة496/7.
(78) مصنف ابن أبي شيبة 409/6.
(79) صلاح الخالدي، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، ص 69.